اللهم إني أبرأ إليك من الثّقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ، ومن التسليم إلا لـك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن التوكّل إلا عليك ، ومن الطّلب إلا منك ، ومن الرّضا إلى عنك ، وأسألك أنْ تجعلَ الإخلاص قرين عقيدتي ، والشكر علـى نعمتـك شـعاري ودثاري .

اللهم تتابع برُّك واتّصل خيرك ، وعظُم رِفْدُك وتناهي إحسانك ؛ فلك الحمد على مـا يسَّرت من إتمام هذا البحث وإكماله ، ولك على الشكر على ما سنَّيتَه من بلوغ القـصد وتحقيق المراد .

وبعــــــد ،،،

فهذه خاتمة المطاف ونهاية الشوط ، أبلغها بعد أن سطّر اليراع نحوا من ثمانمئة وخمسين صفحة أرجو أن يكون فيها أو في شيء منها منفعة ، وعسى ألا يذهب باطلا أجرها في الدنيا والآخرة ، وما كنت أُقدَّرُ أن يطول بي البحث هذا الطول ، ولكنها طبيعته التـي فرضت علي ضربا من التناول أفضى إلى ما رأيت .

ورغم ما بذلته في هذا البحث من جهد ، وما قصدت إليه مـن تجديد في معالجـة المسائـل ، و ما تحرّيته من دّقة التصنيف والتقسيم ، و ما حرصت عليه من أمانة النقل وحسن التعامل مع النصوص ، وما جهدت فيه من إتقان في الإخراج ، رغم ذلك كله لست أدّعي له ولا لصاحبه فضيلة ولا ميزة ، فهو جهد المقل ، وبضاعته المزجاة ، يتقدم بها بين يدي أساتذته على استحياء ووجل ، رجاء أن يقوّموا ما طغى به القلم ،أو زاغ به البصر أو ضل فيه الفكر . وإني من بعدُ لمتمنَّ خيرا بإذن الله ...

منيً إن تكنْ حقا تكنْ أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها ومنا رغْدا

وأشير في هذه الخاتمة إلى ثلاثة أمور :

أولا : أهم ملامح الجملة الرافعية

من خلال هذا التطواف الواسع ، ومن خـلال تعدُّدِ زوايا النظر في الجملة الرافعية في (أوراق الورد) يمكن استخلاص أبرز معالمها على النحو التالي :

1- الطول وتعقيد البناء : وقد رأينا كيف كانت جمل الرافعي تطول وتمتد رأسيا وأفقيا حتى تبلغ مستويات من العمق الرأسي والامتداد الأفقي قل أن تجد لها نظيرا عند أحـد،

وقد وجدنا عنده جملا مركبة من الدرجة التاسعة ، كما وجدنا لديه جملا بلغ امتدادها الأفقي واحد وعشرين إسنادا .

وأظهر البحث كذلك أن أكثر ما يطيل الجملة عنده فعل القول ، فكثيرا ما يأتي به فتمتد الجملة من خلاله امتداد كبيرا ، ويليه في ذلك العطف ، ثم الوصف ، ثم التعدد كتعدد الصفة والخبر ونحوهما .

وقد تمتد الجملة من خلال طول أحد عناصرها بسبب من العطف أو الوصف أو التعدد كذلك ، كأنْ تَطُولَ جملة الصفة أو الصلة أو الحال ... الخ .

ودونك مثالا واحد لجملة استطالت بسبب العطف على جملة الصلة :

- و كانِ نُورُ الكهرباءِ وهُوَ يشِعُ في وجهكِ يُغَمْغِـمُ أيضاً بكلماتٍ من النُّورِ لتلكَ الشُّعَلِ التي **اضْطَرَمتْ في قلبي** ، و ملأت حيـاتي بـكِ ، وعَرَّفَتْني من ذلك أنَّي كنتُ من قبلُ حيّاً من الأحياءِ الفارغَةِ ، وأشعَرَتْني أجملَ السَّعادةِ، سعادةِ نسيانِ الوقتِ ، كأنَّي في هُنَيْهَةٍ خُلِقَتْ لي وحدي ، تجري بي وبك فوقَ المقادِيرِ ، ثم دفعتْ بي إلى ما وراء السَّعادةِ ، إلى منْطِقَةِ الأحلامِ التي لا يكادُ يُصَدَّقُ الإنسانُ فيها أنَّ الحقيقيَّ حقيقيٌّ ، ثم رفعَتْني إلى حسَّ خالقٍ ، فإذا أنا أرى كيفَ تخْلُقِينَ فيَّ خلْقَ معانيكِ لتعودَ معانيْكِ فتخلقَكِ كما أُحبُّ وأهوى [أما قبل 125] .

وقد جعلتُ جملة الصلة بخط بارز ، ووضعت خطا تحت ما عطف عليها أو على المعطوف عليها .

2- التداخل : والمقصود به أن ينشأ إسناد داخل إسناد من النوع نفسه ، كأنْ تنشأ جملة حالية داخل جملة حالية ، أو جملة صفة داخل جملة صفة وهكذا ، ومن التداخل أيضا التداخل في العطف بأنَ يَعطفَ الكاتبُ شيئا على

شيء ، ثم يعطف شيئا آخر على شيء ، ثم يعطف مجموع الأمرين الآخِرَين على مجموع الأوَّلَين .
ومصطلح التداخل هذا ليس بدعا فقد أشار إليه ابن هشام رحمه الله حين تكلم عن قولـه تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُـوهُ وهُمْ يَلْعَبُـونَ * لاهِـيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء : 2، 3] فقال : " ﴿ لاهِـيَةً ﴾ حال من فاعـل ﴿ اسْتَمَعُـوهُ ﴾

فالحالان متداخلتان "[1] ، وقال الشمنّي معلقا : " الحال المتداخلة هي التي صاحبها في حال أخرى ، والمتعددة هي التي صاحبها حال أخرى "[2] .
وإليك نماذج من هذا التداخل :
1.التداخل في جملة الخبر
- أيُّ مكانٍ **شخصُها** <u>**فيه ما حلاّ**</u> [الغضبى 149] .
فانظر كيف جاءت جملة (شخصُها فيه ما حلاّ) خبراً للمبتدأ (أيّ) ثم جاءت جملة (فيه حلا) خبرا للمبتدأ (شخصها) .
- الفرح **هو وحده** <u>**تعبر عنه النفس بدموعها**</u> [قلت وقالت 210] .
وهاهنا ترى جملة (هو وحده ... بدموعها) جاءت خبر للمبتـدأ (الفـرح) ، ثم جاءت جملة (تعبر ... بدموعها) لتكون خبر للمبتدأ (هو) .
2.التداخل في جملة خبر الناسخ
- لكنّ قلبي **مع ذلك يظلُّ** <u>**يبحث عن الأحْسنِ**</u> [في معاني التنهدات 187] .
- إنَّ الزائلَ **يرى ليومِهِ ما بعدَ يومِهِ ، ويعْلمُ أنَّ حقَّه على النّاس** <u>**ليس شيئاً أكثرَ من حقوقِ النَّاس عليه**</u> [فلسفة المرض 226] .
ج. التداخل في جملة الحال :

[1] (?) المغني : 537 .
[2] (?) المنصف 2/133 .

- بهذه الصّفةِ أراكِ في بعض ساعات قلبي **تظهرين لي وكأنّ سراً من الكون يتجلّى بك ، ويقولُ لي من عينيك : المسني ، وانظرْني فيها** [وزدت أنك أنت 33] .

فانظر كيف جاءت الحال الأولى من مفعول الفعل (أرى) ، ثم ولدت الحال الثانية داخل الأولى وكان صاحبها فاعل الفعل (تظهر) .

- و لقد تركتِني **وما أظفرُ منك بساعةِ رضا إلا رأيتُ في يدي معجزة** [المتوحشـة 118] .

انظر كذلك كيف جاءت الحال الأولى من مفعول الفعل (ترك) ثم نشأت داخلها حال أخرى من فاعل الفعل (أظفر) .

د . التداخل في جملة المفعول

- قالتْ : **الآن قُطعَ بك ، فلقد كنتُ أريد أنْ أقولَ : أعني أحبّك فنفيتـها أنت فانتفت** [النجوى 196] .

- قالت : **إنه يقول : إنسان أحمقُ أو مخبولٌ يحاول أن يجعلَ له بحـرا من قطـرتين** [قلت وقالت 210] .

هـ. التداخل في جملة الصفة

- كيومِ الغيمِ ، تَرى في سمائِهِ قِطَعاً **كأنَّها الهاربةُ من الليْلِ ، تخْتَبِئُ الشَّمسُ فيها ثم تسطعُ من بعْدُ سطوعاً يُخيَّلُ إليك أنَّها ما توارتْ في خيمةِ الغمائمِ إلا لتَنْضُوَ غلائلَها الشّفافةَ و تَتَعرَّى** [الغضبى 150] .

- مع ذلك أتمنى أنْ ... ولأضحكَ من رؤيتك الورقةَ وجـهاً **له فمٌ تقبَّلُه**،... وأنـظرَ [في معاني التنهدات 188] .

و. التداخل في جملة الصلة

- انتزعتْ نفسَها مني بعد أن انتزعتُ لنفسي كلَّ معانيها التي **جعلّتْها ما هي** [الغضبى 151] .
- قد اعتدْت منكِ في بعضِ حالاتِ قلبِكِ ألا تضعي المعنى في اللفظِ الذي هو تعبيرُهُ ، بل في الذي **هو تعبيرُ ما بيني و بينك** [هل أخطأت 204] .

ز. التداخل في المصدر المؤول

- كيف لي **أنْ أزعم أني وصفتُ التي تمتاز على الشمس والقمر بأنّ فيهما النور وحده وفي وجهها النورُ الحيّ** [رسم الحبيبة 41] .
- إذ يدفعُها الشوقُ **أن تكونَ عملاً مني بعد أن كانـت عملاً منك** [نار الكلمـة 111] .

وإنما يستقيم جمل هذه الجملة على التداخل إذا علّقنا الظرف (بعد) بالفعل النـاقص (تكون) .

ح.التداخل في العطف : وقد تنبه له الجرجاني (رحمه الله !) ووقف عنده وقفة طويلة مبينا وشارحا ومستشهدا بكلام العرب،وخلاصة ما انتهى إليه أن"أمر العطف موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة ، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضا على بعض ، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك "[1]

وإذا صح هذا في الجمل فإنه يصح كذلك في المفردات ، ومن أمثلته :

- هناك الألُم المدمَّرُ لا يكابدُهُ إلا إنسانٌ كأنما يرادُ خلقُه مرّةً ثانيةً فيهدمُ ويبنى ، أو يرادُ تنقيحُهُ فيغيَّرُ و يحول [وألم الحب 74] .

فانظر كيف عطف (يهدم) على (يراد) وعطف (يبنى) على (يهدم) ، وعطف من بعدُ (يغير) على (يراد) الثانية ، وعطف (يحول) على (يغير) ، ثم عطف مجموع قوله : (يراد تنقيحه فيغير ويحول) ، على مجموع قوله : (يراد خلقه مرة ثانية فيهدم ويبنى) .

[1] (?) دلائل الإعجاز : 245 .

3- لغة الخطاب : لغة الخطاب هي لغة الحديث أو لغة الحوار ، وليس يخفى على دارسٍ للعربية أن بين الاثنين فرقا ظاهرا ، ولست أشيرُ هنا إلى الفرق بين الفصحى والعامية ، فهذا باب آخر من القول ، وإنما أقول : إن للغة الخطاب أو ما سماه فندريس (اللغة الإنفعالية)[1] مَيزاتٍ وسماتٍ تخالف فيها لغة الكتابة ، ولعل المرجع الأول لهذا الاختلاف هو أن اللغة المكتوبة قائمة على التحكيك والتنقيح والمراجعة على حين تقوم لغة الخطاب على المباشرة والارتجال .

من هذه السمات التي تميز لغة الخطاب : الأداء الصوتي (النبر) الذي هو "بمثابة ضباب خفيف يطفو فوق عبارة الفكر دون أن يغير من صيغتها النحوية "[2]، والتكرار، والتحرر من الروابط بين أجزاء الجملة ، والحذف ، واختلاف أجزاء الكلام ،و الاهتمام بإبراز رؤوس الفكرة ، وسرعة التطور والتغيير[3] .

والذي يحصل أحيانا أن تتسرب بعض سمات لغة الخطاب إلى لغة الكتاب ، وهذا ما لفت نظري في كلام الرافعي (رحمه الله !) فقد وقفتُ في جملة على طرائق في البناء والصياغة أشعرتني أن الرجل يتحدث إلى صاحبته ولا يكتب إليها ، وكأنه إذ كان يكتب يتخيل نفسه أمامها تخالط أنفاسُه أنفاسَها ، وتجولُ عينه في مفاتنها ، فيرسل إليها حديث المحب إلى

---

1 (?) انظر : اللغة : 182 .
2 (?) اللغة : 185 .
3 (?) انظر الفصل النفيس الذي كتبه فندريس في كتابه اللغة عن الموازنة بين لغة الخطاب ولغة الكتاب ص : 182 – 202 ، وانظر كذلك أسس علم اللغة لماريوباي ص : 60 -62 .

حبيبته ، فهو يكرر حينا ، ويتوقف حينا ، ويتردد حينا ، ويتأوه حينا وهكذا . ودونك جملا تكشف عما أردت :
أ. الاعتراض بالتأوه :
- أترى يا قلبي ... آه ... أترى ؟ [القمر 58] .
ب. التكرار :
- ولكن ربما ربما [رسالة للتمزيق 52] .
- ويشتدُّ بي الوجدُ وأضيقُ فما أظنُّ الحبَّ إلا عداوةً ساخرةً تهزأُ بالنّاس فتجيئُهم متلطفةً في غيرِ أسلوبهـا وعلى غير طريقتِها من الحبيب... من الحبيب على أنها عـدواةٌ ! [ياللجلال 97] .
ج. الحذف :
- ولعلّنا ولعلك ... والسلام [في العتاب 184] .
- أما ابتسامُكِ أنتِ ... [رسالة الابتسامة 88] .
- أتعرفين ؟ [نار الكلمة 110] .
ومنه حذف الاستفهام كقوله :
- والدليل ؟ و البرهان ؟ [رسالة الابتسامة 90] .

4- تماثل البناء : والمراد به أن يبني الأديب أجزاء جملته أو الجمل المتجاورة على نمط واحد من حيث الوظائف النحوية ، بحيث تتماثل أجزاء الكلام . ومن أمثلة هذا :

- أحاولُ بأساليبِ الحبَّ الكثيرةِ أنْ أردهاَ إليّ وهي لابدّ لها أنْ تبقى خارجاً لأنّها جسمٌ آخرُ ، وأنا لابدّ لي أنْ تكونَ فيّ لأنها روحي الأخرى [كتاب لم تكتبه 143] .

فتأمل جملة الحال والجملة المعطوفة عليها كيف تكونت كل منهما من مبتدأ ضمير خبره جملة اسمية منسوخة الناسخ فيها (لا) النافية للجنس التي خبرها مصدر مؤول تعلّق بفعله مصدر مؤول آخر مجرور باللام .

- الحبُّ كالحرّيةِ : هذه تأتي أهلَها بالثّورةِ المدمّرةِ ، و فيها أسبابٌ من الحياةِ لها ما بعدَها ، وذاك يهدي الشّتْمَ و فيه أسبابٌ من الدّلال و لها ما بعـدها [هدية شتم 158] .

وعلى مستوى الجملتين المتجاورتين نجد قوله :

- كانَ لها في نفسي الجمالُ ومعه حماقةُ الرجاءِ وجنونُهُ ثم خضوعي لها خضوعـاً لا ينفعني ، فبدَّلني الهجرُ منها مظهرَ الجلالِ ومعه وقارُ اليأسِ وعقُله ثم خضوعُها لخيالي خضوعاً لا يضرُّها [الغضبى 151] .

5- الخروج عن المألوف من كلام العرب في بناء الجملة والتوسع في اختراع التراكيب الجديدة .

6- طغيان الجملة الفعلية على الجملة الاسمية .

ثانيا : أهم المسائل النحوية التي عالجها البحث

أهم قضية نحوية عالجها البحث علاجا مستفيضا (مفهوم الجملة) ثم البحث عن منهج نحوي أمثل لدراسة بنيتها ، ثم عالج البحث كذلك بتوسع ما يتعلق بالجمل ذات المحل من الإعراب من حيث شروطها وروابطها و ما يتعلق بها من أحكام ن ونوقشت من خلال ذلك جملة صالحة من المسائل ، منها :

- ارتباط جملة الحال الاسمية بالضمير وحده [ص : 296] .
- مجيء الفعل الماضي حالا دون قد [ص : 299] .
- وقوع جملة الشرط حالا [ص : 307] .
- ما يعلَّق من الأفعال [ص : 311] .
- تعليق الأفعال التي تكون متعدية لمفعول ومفعولين بحسب معناها [ص : 316] .
- هل تكون الصلة شبه جملة ؟ [ص : 338] .
- حذف عائد الصلة [ص : 343] .
- دخول أنْ المصدرية على الأمر [ص : 352] .
- وصل ما المصدرية بالجملة الاسمية [ص : 357] .

وفوق ذلك كله تعرض البحث لعدة قضايا ومسائل نحوية ، وجاء بجديد من الرأي في بعض المسائل ، وإليك بعضا من ذلك مقرونا بمواضعه من البحث :

- اعتبار دخول همزة الاستفهام على المبتدأ من موجبات التقديم [ص : 106] .
- تعلق شبه الجملة بالإسناد [ص : 106 ، 149] .

- هل يحتاج اسم إنّ وكان إذا كان نكرة إلى مسوغ ؟ [ص : 111 ، 148] .
- استخدام (مِنْ) لابتداء الغاية الزمانية [ص : 168] .
- العطف في الجملة الشرطية [ص : 211] .
- حك تأخر الخبر إذا رفع ضمير المبتدأ بارزا وإذا كان المبتدأ ضمير رفع [ص : 215 ، 216 ، 217] .
- عدُّ التباس المبتدأ بالبدل في نحو قولهم : ها أنذا من موجبات تأخير الخبر [ص : 218] .
- هل الجمل نكرات ؟ [ص : 230] .
- هل يقع التعدي بحرفين فصاعدا ؟ [ص : 236] .
- وجوب تقدم الفاعل إذا كان المفعول مصدرا مؤولا رفع فعله ضمير الفاعل ، وكذا إذا كان المفعول جملة رفع فعلها ضمير الفاعل [ص : 260 ، 261] .
- وجوب تأخر المفعول إذا كان جملة معلقا عنها الفعل [ص : 264] .
- تحرير العائد في قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ [ص : 281] .
- دخول الواو على خبر الناسخ [ص : 452] .
- الموازنة بين المصطلحات الثلاثة : محذوف ، مقدر ، مستتر [ص : 288] .
- تحرير مذهب سيبويه في إضافة إذا إلى الاسمية [ص : 319] .
- مناقشة رأي الأنطاكي في عدَّ المصدر المؤول جملة [ص : 368] .

- عدُّ التخصيص بالكناية مسوغا من مسوغات الابتداء بالنكرة [ص : 412] .
- عدم احتياج اسم الناسخ إلى رابط إذا كان ضمير شأن [ص : 466] .
- التعليق بحرف استفهام محذوف [ص : 702].

- هل يتعدى الفعل (أحسَّ) بنفسه أم بالحرف ؟ [ص : 495] .
- مناقشة بعض النحاة أو الدارسين الذين ظهر في أقوالهم شيء من التناقض أو عدم الدقة في العزو كابن هشام [ص : 279 ، 284 ، 310] ، وابن مالك [ص : 305] ، وأبي حيان [ص : 353] ،والأزهري [ص : 321] ، والكفوي [ص : 40] ، ومحقق الارتشاف ومحقق التصريح [ص : 359] .

كما نظر البحث في تخريج بعض التراكيب المحدثة أو المشكلة التي وردت عند الرافعي كقوله : (فيما لاتباع كنوز الأرض)][ص : 479] ، وقوله : (و لا مثل حيرتي) [ص : 605] ، وقوله (كما أنت) و (جعلتها ما هي) [ص : 618] وقوله (ولا يشعر به في غير العشاق إلا أعظم الفلاسفة وفي آخر دروس فلسفته) [ص : 730] ، وقوله : (ما هو الحب ؟) [ص : 209] ، وقوله : (ما دام يهدر على فورته فكله في الأعلى) [ص : 156 ي] .

ثالثا : التوصيات

1- تطبيق هذا المنهج على نتاج أدباء آخرين لتتم الموازنة بينهم وبين الرافعي ، مع مواصلة السعي في تحرير منهج قد يكون أكثر دقة وأعظم إفادة .

2- الاستفادة من هذه النظرة في بناء الجملة وتداخل أجزائها في وضع قواعد أكثر دقة وانضباطا لعلامات الترقيم .

3- متابعة درس بناء الجملة لدى أعلام الأدباء المعاصرين للكشف بصورة دقيقة عن سمات الفصحى المعاصرة ومقدار البون بينها وبين الفصحى الأولى .

4- ضرورة الإكثار من البحوث التطبيقية على النصوص الأدبية ، لأن هذا الضرب من البحوث ينشئ ملكة قوية لدى الدارس ، ثم هم يحرر كثيرا من المفاهيم الفضفاضة، ويقف بنا وجها لوجه أمام نصوص وتراكيب قد تفضي إلى تعديل شيء من القواعد

النحوية عندما يكون الأديب أو الشاعر ممن يحتج بلغته .

5- السعي الدؤوب لاستثمار المنهج النحوي في التحليل الأدبي للنصوص ، والتهدي إلى أسرارها ودقائقها ، وذلك لما أثبته النحو من قدرة فائقة على التحليل العلمي المنظم للنص ، ولعل هذا مما يدفع عنا شر الارتماء في أحضان المذاهب النقدية الوافدة دون تمييز بين ما ينفعنا وما يضرنا .

والله ولي التوفيق .